

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في الجلسة الافتتاحية للأسبوع السابع عشر لـ "شبكة الأمّ والطفل للفرنكوفونية" تحت عنوان : "الابتكار في سياق نزاعيّ"، يوم الإثنين الواقع فيه ٢٩ نيسان (أبريل) ٢٠١٩، في الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر، في قاعة محاضرات H و N (هنري وناديغ) عجمي، مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" HDF.

١. إنّه لمن واجب رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، تلك المؤسسة الإبداعية التعليمية الناطقة بالفرنسية والتي تمّ إنشاؤها في العام ١٨٧٥، لا بل يسعدّه أن يرحّب بكم في هذا الأسبوع السابع عشر من "شبكة الأمّ والطفل للفرنكوفونية"، وهو الأسبوع الذي أردتم إقامته في منطقة تُعرّف بالنزاعات من أجل التفكير في مسألة الابتكار. أنتم تقيمونه في هذا المستشفى الشهير "أوتيل ديو دو فرانس" الذي بدأ تشييده في العام ١٩١٣، وتمّ إيقاف المشروع في العام نفسه، بسبب الحرب العالمية الأولى ؛ عندما انتهت الحرب، استؤنف بناؤه كمستشفى تطبيقيّ لكلية الطبّ وافتتح في العام ١٩٢٢. اليوم، تتولّى جامعة القديس يوسف في بيروت، منذ العام ١٩٧٨، إدارة المستشفى الذي تملكه فرنسا وفقًا لسند إيجار حكريّ تمّ توقيعه لمدّة خمسين عامًا بين السفير الفرنسي ورئيس الجامعة في ذلك الوقت الأب جان دو كروبيه.

٢. اليوم، وفي الأيام المقبلة، برنامج هذا المؤتمر مفعم بالمداخلات، بدءًا بالمحاضرات التي تدور حول مواضيع قد أصفها بالاستراتيجية مثل الروبوتات في جراحة الأطفال ومسألة الكشف عن مختلف الأمراض والعاهات إلى التأكيد على الأعمال البحثية أو الخبرات ضمن ورش عمل غنية حول عدد كبير من القضايا الأساسية في حياة الطفل والأمّ. أودّ أن أقول إنّ الأمر يستحقّ كلّ هذا العناء، فصحة الأمّ والطفل هي من المكتسبات القيمة للإنسانية التي يتوجّب حمايتها والدفاع عنها بذكائنا العلميّ البشريّ، سواء كان هذا الذكاء طبيعيًا أمّ إصطناعيًا. هذا الجهد، إلى جانب عنوان مؤتمر "الابتكار في سياق نزاعيّ"، يعكس الأهداف المعلنة مسبقًا لشبكتكم التي تمتدّ عبر خمس دول ناطقة بالفرنسية، والتي تسعى إلى أن تصبح شبكة دولية من المستشفيات الجامعية الناطقة بالفرنسية لنقل المعرفة حول صحة الأمّ والطفل، إلى جانب الرغبة في الابتكار في مجال الصحة وتقنياتها، وتشخيصها للحالات الإشكالية وتنوّع العلاجات فيها. في الواقع، الإبتكار هو من ناحية استجابة لحالات غير مسبوقه وكارثية في بعض الأحيان كما هو الحال في السياقات النزاعية من انعدام الأمن والحروب ودائمًا بغية تطوير الجودة وأنواع الرعاية التي يجب توفيرها في المواقف الحساسة التي يتعرّض لها كلّ من الأمّ والطفل. في هذه الحالات، وانطلاقًا من واجب الابتكار، لأنّ الإبتكار لم يعد خيارًا من بين خيارات أخرى

ولكنّه واجب ضروريّ، من المؤكّد أنّنا لا نستطيع القيام بذلك بمفردنا في هذا المجال من الابتكار، سواء في مجال الصحّة أو في مجال آخر، وخاصّة في مجال الصحّة.

٣. تجربتنا في هذا الموضوع مهمّة : الإبتكار والتعاون أصبحا متلازمين ولا ينفصلان. من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، القيام بمفردنا بمشاريع بهذه الأهميّة كتلك المتعلّقة بتحسين وجود طفل وحياء طفل معرّض لخطر التشوّهات الخلقية أو حديث الولادة. بهذا الإتّجاه، المشروع الوطنيّ اللبنانيّ للكشف عن حديثي الولادة، والذي أصبحت فيه كلّ من جامعة القديس يوسف في بيروت ومستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" شريكين، جمع حول وزارة الصحّة العامّة في لبنان جامعتين من لبنان هما جامعة القديس يوسف والجامعة الأميركية في بيروت للسماح لأيّ مقيم في الأراضي اللبنانيّة أو مواطن لبنانيّ بتحديد وجود مرض وراثيّ (التمثيل الغذائيّ أو المناعيّ) عن طريق أنواع مختلفة من الإختبارات التحليليّة من دون تحديد السبب الجزيئيّ. من الواضح أنّه في منطقة تسود فيها صلات القرابة، المشكلات ليست بنادرة ونسبة المخاطر مرتفعة جدًّا وكانت هناك حاجة ملحة لمواصلة الابتكار. هذا التشخيص الجزيئيّ الذي يتمّ بالنسبة إلى مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" داخل وحدة الوراثة الطبيّة، وهو أحد المختبرات الرائدة في كليّة الطبّ في جامعة القديس يوسف في بيروت، يمكن تحقيقه وهو يقدم حلًّا كاملاً للعائلات. في ما يتعلّق بالإبتكار المقترن بالتعاون، قدّمت وحدة الوراثة الطبيّة لتوّها منصّة ونظامًا هو نظام الجيل المقبل لتقنيّات التسلسل (NGS illumina)، والذي يوفر إمكانيّات هائلة لتشخيص حالات حديثي الولادة، وذلك بفضل منحة غير مرتجعة من متبرّع يريد مساعدة الجامعة. وبالمثل، في مبنى جديد قائم حاليًّا في الحرم الجامعيّ الطبيّ، يوجد مستشفى إفتراضيّ تمّ بناؤه بمساعدة طرف ثالث، وهو يتضمّن قسمًا متخصصًا لـ"الأمّ والطفل" ومخصّص لتنشئة شباب الكليّة. في جامعتنا، يسعى المركز المهنيّ للوساطة إلى تنشئة البالغين وحتّى المراهقين في المدارس على هذه المهنة الرائعة، مهنة الوسيط بغية تخفيف حدّة النزاعات التي تهدّد منطقتنا، ويستقبل مركز الرعاية النفسيّة العديد من المراهقين المنعزلين عن ذواتهم وعن عالمهم نتيجة للنزاعات ويسعى مركز طبّ الأسرة إلى تقديم العلاجات الجيدة للكثير من الأطفال والأمّهات لا سيّما القادمين من طبقة فقيرة إلى حدّ ما. إنّ مختبر رودولف ميريو Rodolphe Mérieux الذي يعدّ جزءًا من شبكة "ميريو" Mérieux الموجودة في مركز التكنولوجيا والصحّة في جامعتنا يضع إمكانيّاته لمكافحة الأمراض المعدية الخطيرة التي تفكك بمخيّمات اللاجئين وتهدّد الصحّة العامّة. وكذلك الأمر، قبل شهرين، عقدنا مؤتمراً حول حماية الطفل فكان لحظة وعي ووعد بالقيام بعمل أكاديميّ وإجتماعيّ من أجل الطفل المهّدّد بالأخطار المختلفة.

٤. بالتالي، يصبح التعاون المنجز ضروريًا من أجل الانخراط بقوة في أفضل خدمة يتم تقديمها إلى الأمّ والطفل، وهي خدمة لا يمكن إلا أن تكون خدمة التميّز في الطبّ الفرنكوفونيّ الدوليّ الذي يشهد له بالعمل اليوميّ كلّ من مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" وكلية الطبّ في جامعة القديس يوسف، وهو أمرٌ يحظى بتقديرنا ومهمّة علينا دعمها. يبدو التعاون ضروريًا على مستوى الابتكار والبحث العلميّ من أجل إيجاد حلول للمشاكل الصحيّة التي يتعرّض لها كلّ من الأمّ والطفل. يجب أن يتمّ ذلك ضمن شبكة من الشركاء المهتمّين بالإشكاليّة نفسها، والذين يشاركون الأهداف ذاتها ويحملون القضية نفسها، ألا وهي قضية صحّة الطفل والأمّ خاصّة في حالات النزاع الأكثر فتكًا بهاتين الفئتين من السكّان.

٥. في الواقع، يسود النزاع في هذا الجزء من العالم، عالم الشرق الأدنى والأوسط وبأشكال مختلفة، سواء كانت سياسيّة أو نفسيّة أو إقتصاديّة أو مسلّحة، وهو يتطلّب طرقًا مبتكرة لإيجاد حلول وعلاجات لتبعات العنف الذي لا يزال ينتشر. أودّ أن أعتنم فرصة إقامة هذه الأيام البحثيّة لأقول كم هو مهمّ إيجاد حلول سياسيّة لأزمات وصراعات تستمرّ منذ عقود، كتلك الموجودة في فلسطين، أو تلك التي تحدث مؤخرًا في سوريا والعراق واليمن وهي تشهد على مئات الآلاف، إن لم يكن الملايين من الأطفال والأمّهات الذين يدفعون الثمن الباهظ للحرب والجوع. هذه الأزمات والصراعات تدوم وتدوم من جرّاء تدفّق النازحين واللاجئين الذين يؤثرون على نظام الصحّة والخدمات في بلد صغير مثل لبنان. النزاعات السياسيّة والمسلّحة أثارتها وهي لن تكون إلا ضغوطًا سياسيّة ستساعدهم بالضرورة على العودة إلى ديارهم في أقرب وقت ممكن وفي ظلّ أفضل الظروف. لهذا السبب، من المهمّ بالنسبة إلينا اليوم أن نفكّر مليًا بضحايا الحروب والحصار، بالملايين من النازحين واللاجئين هؤلاء، وأيضًا بالآلاف من الجنود المجهولين الذين يتخرّجون من جامعاتنا، من نسميهم بالمتطوّعين في المنظّمات غير الحكوميّة مثل ذلك الشابّ اللبّانيّ من جامعتنا الذي وقع ضحيّة النزاع في اليمن، والأطباء والمرمّضين أو غيرهم من العاملين في المجال الصحيّ والصليب الأحمر أو الهلال الأحمر الذين يقومون أحيانًا بالمستحيل لإنقاذ أطفال وأمّهاتهم. فلنجعل دائمًا قضية الأمّ والطفل قضيتنا. أتمنّى لكم حظًا سعيدًا في أعمالكم.